

الباب الثاني

في فضل اقتنائها واعدادها للجهاد

وما ورد في ذلك من مواقع النجوم الأعجاز وتفسيره

بوجوه الأيجاز

قال الله تعالى منها بفضلها في معرض القسم إذ هو دليل التعظيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ (١) السورة مدنية وقيل مكية. الباء من بسم الله على القول الراجح بأنها آية من كل سورة والواو الأحسن أن تكون للقسم بقرينة السياق والكلام في بقيتها مشهور والعاديات خيل الغزاة على الراجح واختاره القاضى ويؤيده ما بعده ﴿ضَبْحًا﴾ الضبح صوت أنفاسها، قال عنترة:

الخيل تكدح حين تضج في حياض الموت ضبحا

وانتصابه على المصدر بفعل محذوف والجملة حال إن كانت اللام للعهد ويحتمل الصفة إن كانت للجنس أو بالعاديات لأنها في معنى الضاحجات. قال القاضى: لأنها تدل بالالتزام على الضاحجات فكأنه قال والضاحجات أو على الحال فالمصدر بمعنى اسم الفاعل. أقسم بها والقسم غاية التعظيم ولأحجل ذلك فهينا عن القسم بغير الله لما

(١) سورة العاديات الآية ١

فيه من التعظيم الذى لا يلىق إلا به سبحانه. وأما قسمه تعالى ببعض مخلوقاته فأشارة إلى تعظيمه وإخراجاً للكلام مخرج التأكيد بما يعرفه العباد. والعدو احضار الفرس وهو جريه وهو أنواع منها الهملجة وهى أول ارتفاع الفرس عن العنق الذى هو سرعة المشى. والأضطرام ومنه فرس مضطرم وتسمى الألتهاب كأنه استعارة من التهاب النار. ومنها الرديان يقال ردى يردى كضرب يضرب ردياً وردياناً وهو أن يرمم الأرض بحوافره رجماً ومثله التقريب وتسميه العرب الآن هرفاً. والضبر وهو الوثب والحناف وهو سيرلين سهل. والضبع وهو أن يمد الفرس ضبعه حتى لا يجد مزيداً، وقيل هو الضبع المذكور فى الآيه فيكون مصدراً نوعياً كقولك قمت انتصاباً ويجوز الحال أيضاً. وخص القسم بهذا الوصف لأنه أخص صفاتها وقيد للمبالغة فيه. ولما كان عدوها ينبأ منه اقتداح النار من حوافرها ربت الجملة الثانية بالفاء وكذلك ما بعدها فقال ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾^(١) ألا يراء اخراج النار والقده ضرب أحد الزندين بالآخر يقال قدح فأورى إذا ظهرت منه نار وقدح فأصلد إذا لم يظهر منه نار وانتصاب قدحاً على التمييز وبما انتصب به ضبحاً. والنار التى تخرج منها تسمى نار الحياحب ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾^(٢) انتصابه على الطرف ويأتى فيه ما سبق يقال صبحتهم الغارة وهى الهجوم على القوم وأكثر ما تكون فى الصبح لأنه وقت الغفلة وسكون الحواس والحراس ومنه قولهم واصباحاه للأندار ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ يُقَعًا﴾^(٣) النقع الغبار وقيل الصباح.

(١) سورة العاديات الآيه ٢

(٢) سورة العاديات الآيه ٣

(٣) سورة العاديات الآيه ٤

قال في الأساس من الحجاز ثار الغبار والدخان انتهى أى أن أصل الفعل الثوران بمعنى الهيجان ومنه ثار القطا واثرت الصيد ففعله أجوف ثم شبه ارتفاع الغبار وظهوره بأقلاع الصيد عن كناسه وظهوره فه من باب الاستعارة التبعية والضمير في ربه للصبح أو للحي المغار عليه المفهوم من المغيرات فالباء ظرفية وجوز كونها للعدو المفهوم من العاديات فهي سبيبة ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾^(١) آتين وسط الجمع أى توسطته فجمعاً مفعول فيه والضمير المجرور للوقت أو النقع أو العدو. ولا يخفى معانى الباء على كل.

ويجوز أن يكون للراكب المفهوم من المقام ولعله أولى فنكون الصفات الأولى للخيل وهذا للغزاة مشعر بشجاعتهم وثباتهم واقتحامهم لجح الحروب اثر وصف خيلهم بأمدح صفات الخيل ففيه تنويه بتعظيمهم وحثهم على الجهاد بأبلغ وجه. هذا وحظ الصوفي من هذه الآية بطريق الإشارة أن يكون الإشارة بالعاديات إلى نفوس المجاهدين في طريق الله المسمى بالجهاد الأكبر وذلك لأن فائدة الجهاد الظاهري الآخروية موقوفة على هذا الجهاد كما ورد في الصحيح «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فذاك في سبيل الله» فأشار الرسول ﷺ إلى اشتراط الإخلاص في الجهاد والإخلاص نتيجة الجهاد الباطن ولا يحصل إلا به فالنفوس إذا اطمأنت سارعت إلى طاعة الله تعالى مسارعة الخيل المغيرة وضبحها هججها بذكر الله تعالى كما ورد هجير أبي بكر لا إله إلا الله وزفراقها حينها واشتياقها وإبراء قدحها تلهب احتراقها قال عارفهم:

وان اجنك ليل من توحشها . فاقدح من الشوق في ظلماقها قبسا

فإذا دأبت على ذلك هجم بما الكدح على شروق ضوء الفتح فلاح لها تبشير أنوار

شمس الحقيقة عند سماع منادى الفلاح ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢)

(١) سورة العاديات الآية ٥

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٧

فهنالك تبدو طلايع العباد وتنصر جيوش الأيمان وتحقق بنود رأيات الأحسان وتدبز هاربة
 جيوش الهوى والشيطان فيثور إذ ذاك من معترك الأغيار غيب الغبار حتى ينقشع عن
 ظهور شمس الجمع متوسطة فلك الاعتدال فيلبس الكل حلة الكمال ويكون الإشارة
 بالتوسط إلى مقام الأستواء الذى إليه فى السلوك انتهى وما بعده إلا محض المواهب المعبر
 عنها بالجذبات وهو المقام الذى أشار إليه أستاذنا قلس الله سره العزيز فى همزيته فى
 المادح النبوية قاتلاً فى وصف الرسول الأعظم مع الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم:
 وغدا ختمهم عليه عروس الجم — ح تجلى فى حلة الأستواء

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
 تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا
 تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١) واعدوا أى اتخذوا
 عدة لهم أى لحربهم والقوة كل ما يتقوى به فى الحرب. وعن مجاهد (٢) رحمه الله تعالى
 القوة الخيل الذكور ورباط الخيل الأناث لكن فى صحيح مسلم عن عقبه بن عامر (٣)

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولى السائب بن أبي السائب، عرض القرآن على
 ابن عباس ثلاثين مرة. ولد سنة ٢١هـ ومات سنة ١٠٠هـ وقيل سنة ١٠١هـ.

أنظر المزيد فى : شذرات الذهب ١/١٢٥، طبقات المفسرين للداودى ٢/٥٠٣، خلاصة
 تذهيب الكمال ٣٦٩، تذهيب التهذيب ١٠/٤٢، طبقات ابن سعد ٤٦٦.

(٣) هو عقبه بن عامر الجهنى كان فقيهاً علامة قارنا لكتاب الله بصراً بالفرائض فصيحاً مفوهاً شاعراً
 كبير القدر، مات سنة ٥٨هـ.

انظر المزيد فى : العبر ١/٦٢، طبقات الفقهاء ٥٢، أسد الغابة ٣/٥٢ الإصابة ٢/٤٨١، تذكرة
 الحفاظ ١/٤٢.

قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقرأ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ إلا أن القوة الرمي ثلاثاً ولعله كقوله الحج عرفة والحث عليه بتكريره لاقتضاء الحال إياه إذ ذاك.

وروى مكحول^(١) تعلموا الرمي فإنه ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وروى عن النبي ﷺ أنه قال كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا ثلاثاً رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته. ثم قال ارموا واركبوا والرمي أحب إلى من الركوب قال القاضي كغيره رباط الخيل المرتبطة في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول أو مصدر رسي به، يقال ربط ربطاً ورباطاً ورباط مرابطة ورباطاً يعني أنه مصدر من المجرد أو المشتق، سميت به الخيل التي تربط أى نقل إلى اسم المفعول أيضاً كالأول أو جمع ربيط كفصيل وفصال انتهى.

وعلى كل فالرباط المراد به الخيل فالإضافة في الآية بيانية ويكون كل ما ورد في فضل الرباط وارد في فضل الخيل ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(٢) أى ارتبطوا الخيل في الثغور والأمر في الآيتين للوجوب لكنه محمول على الكفاية ما لم يتعين ويجوز أن يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف فالرباط بمعنى الارتباط.

(١) هو مكحول الدمشقي أبو عبد الله الفقيه أحد الأئمة روى عن أنس ورواية بن الأسقع وأبو أمامة وثوبان. وعنه أبو حنيفة والزهري وحيد الطويل وابن إسحاق مات سنة ١١٢هـ.

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.

وعن سلمان^(١) الفارسي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل مسلم إلا حق عليه أن يرتبط فرساً إذا طاق ذلك ». رواه بسنده الحافظ الدمياطي في كتاب الخيل ويحمل على ما إذا تعين الجهاد والرباط كما سبق إذ الأرجح أنهما فرضاً كفاية دائماً من حين فرضا إلى يوم القيامة وربما تعينا أو أحدهما كما هو مبسوط في كتب الفقه.

وقوله ﴿ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾^(٢) هم الكفرة من كل فرقة وقيل المشركون وقيل هم واليهود الذين بقربهم ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ﴾^(٣) قال مجاهد: هم بنو قريظة أى على الثاني وقال السدي^(٤) أهل فارس وقال الحسن^(٥): هم المنافقون وقيل هم كفرة الجن وهم يفرعون من سهيل الخيل.

(١) هو سلمان الفارسي صحابى من مقدميهم كان يسمى نفسه سلمان الإسلام وهو الذى دل المسلمين على حفر الخندق، أصله من الجوس وعاش طويلاً، مات سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م. أنظر المزيد في: طبقات ابن سعد ٤/٥٣-٦٧، تذييب ابن عساكر ٦/١٨٨، الإصابة ٣٣٥٠، مروج الذهب ١/٣٢٠، الذريعة ١/٢٣٣-٣٣٣، محاسن أصفهان ٢٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي تابعى حجازى الأصل، سكن الكوفة قال فيه ابن تفرى بردى: صاحب التفسير والمغازى والسير وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. أنظر المزيد في: اللباب ١/٥٣٧، النجوم الزاهرة ١/٣٠٨.

(٥) هو الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى زد بن ثابت وقيل جابر بن عبد الله وقيل أبو اليسر. ولد لستين بقيتا من خلافة عمر، قال أبو بردة: أدركت الصحابة فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن. مات سنة ١١٠هـ.

أنظر المزيد في: طبقات ابن سعد ٧/١٥٦، طبقات خليفة ٢١٠، تاريخ البخارى ٢/٢٨٩.

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «أهم الجن ثم قال إن الشيطان لا يخبل أحداً في دار فيها فرس عتيق» كما سبق.

وفي الآية إشارة لطيفة وهي ما ختمت به من قوله ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١) وهي التشجيع على اقتناء الخيل وعدة الجهاد وان ما يتفق على ذلك مستخلف مع الثواب عليه، كما ورد في الصحيح عن ابن عباس وأبي أمامة الباهلي^(٢) وأبي الدرداء^(٣) ومكحول وحنش بن عبد الله الصنعاني^(٤)

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٢.

(٢) هو صدى بن عجلان بن وهب الباهلي أبو أمامة صحابي كان مع علي في صفين وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص وهو آخر من مات من الصحابة .

انظر المزيد في: قذيب ٤/٤٢٠، الإصابة ت ٥٤ ٤٠، تاريخ ابن عساكر ٦/٤١٧، صفة الصفوة ١/٣٠٨، ذيل المذيل ٣٣.

(٣) هو أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي وكان يقال هو حليم هذه الأمة، شهد أحداً وأبلى يومئذ بلاء حسناً، كان عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وفقههم وقاضهم. مات سنة ٣٢هـ.

انظر المزيد في أسد الغابة ٦/٩٧، تذكرة الحفاظ ١/٢٤، خلاصة تذهيب الكمال ٢٥٤، شذرات الذهب ١/٣٩، طبقات الفقهاء ٤٧، طبقات القراء لابن الجزري ١/٦٠٦، طبقات القراء للذهبي ١/٣٨، العبر ١/٣٣، النجوم الزاهرة ١/٨٩.

(٤) هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة البستي الصنعاني تابعي شجاع من القادة كان من أصحاب علي وشهد معه الوقائع، فلما قتل على انتقل إلى مصر فأقام بها. وغزا المغرب مع رويق بن ثابت والأندلس وأسس جامع قرطبة وتوفي بسرقة سنة ١٠٠هـ/٧١٨م.

انظر المزيد في: جذوة المقبيس ١٨٩، الروض الأنف ٢/٢٤١.

والأوزاعي^(١) وعن عريب المليكي^(٢) مرفوعاً أن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُتَّقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) نزلت في أصحاب الخيل في سبيل الله تعالى. ويؤيده ما
 روى عن أبي كبشة^(٤) أنه قال: قال رسول الله ﷺ « الخيل معقود في نواصيها
 الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة »^(٥).
 ولفظ الحديث يتناول مطلق الخيل ويأتي الكلام على هذا الحديث
 وأشباهه مستوفى إن شاء الله تعالى.

وسماها الله عز وجل خيراً في قوله سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ
 نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي

(١) هو عبد الرحمن الأوزاعي بن عمرو أبو عمرو إمام أهل الشام في وقته نزيل بيروت . روى عن
 عطاء وابن سيرين ومكحول وخلق. وعنه أبو حنيفة وقتادة ويحيى بن أبي كثير والزهرى وشعبة،
 مات سنة ١٥٧هـ.

انظر المزيد في : تذكرة الحفاظ ١/١٧٨، تهذيب التهذيب ٦/٢٣٨، خلاصة تذهيب الكمال
 ١٩٧، العبر ١/٢٢٧.

(٢) ورد في ذكره بعض المصادر.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٤.

(٤) هو يزيد بن جبريل أبي كبشة بن يسار السكسكى أمير كان مقدم السكاسك وصاحب شرطة
 عبد الملك بن مروان وولى الغزاة ثم ولاه الوليد إمرة العراقين بعد وفاة الحجاج. ولما استخلف
 سليمان، ولاه إمارة "السند" فمات بعد وصوله إليها بثمانية عشر يوماً. قال الذهبي: كان من
 خيار الأمراء.

انظر المزيد في : الكامل ٤/٢٢١، جهرة الأنساب ٤٠٥.

(٥) ورد عند الدارقطنى والترمذى.

أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ • رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِقَ
مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿١﴾ وملخص هذه القصة أن سليمان عليه السلام
غزا مدينة من مدن الشام فأصاب منهم ألف فرس فقط يوماً على كرسيه من
بعد الظهر يستعرضها حتى غربت الشمس واشتغل بها فنسى ورده الذي كان
يفعله ذلك الوقت من صلاة أو ذكر وقيل أنه ورثها من أبيه وفيهما أن المغنم لم
تحل لغير نبينا والأنبياء لا تورث. وربما يجاب بأنها كانت فيناً. وفيه أن الفئ
يطلق على الغنيمة والغنيمة على الفئ والظاهر من قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّتْ لِي
الغنائم في معرض الأختصاص ﴾ على أن المراد بها ما يشمل الفئ وإن كانت
ليبت المال أشكل عقرها. والحاصل أقرب الأقوال إلى القواعد ما قيل أنها بحرية
أخرجت من البحر لها أجنحة أو خيله التي كانت تحت يده وهابوه أن ينهوه
فاغتم لما فاتته واستردها وطفق يمسح أعناقها وسوقها بالسيف أى يقطعها من
قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه. وفي الكشاف^(٢) عقرها تقرباً إلى الله تعالى
وبقى منها مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدلنا
الله تعالى خيراً منها وهى الربح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب انتهى.

فإن قيل كيف جاز عقره هذه الخيل وهو اضاءة للمال وهو غير جاز
شريعاً قلت يحمل إن صحت الرواية على أنه ذكاء شرعية فيكون أباح لحومها
للفقراء فهو من التقرب بالمال. وهذا على كونها مأكولة ويأتى الخلاف فيه في شرعنا
أو أنه شرع له. أما في شريعتنا فلا يجوز مثل ذلك بل سبيله التصديق بها وتحبيها في

(١) سورة ص الآية ٣٠.

(٢) للزمخشري.

سبيل الله كما روى أنه وسماها بمِسم الصدقة على سوقها وأعناقها وحبسها في سبيل الله تعالى، كما ورد عن بعض السلف رضى الله تعالى عنهم أنه كان له مال في مكان فخطر له وهو في الصلاة ففكر فيه حتى سهى أو كاد فتصدق به كله.

في الموطأ^(١) عن أبي طلحة الأنصارى^(٢) أنه كان في حائط له فطارده بشئ فأعجبه وهو طائر في الشجر يلتصق بمخرجاً فأتبعه بصره ساعة وهو في صلاة فلم يدركم صلى فذكره للنبي ﷺ ما أصابه من الفتنة، ثم قال هو يارسول الله صدقة فضعه حيث شئت.

قال مالك وعن عبد الله بن أبي بكر^(٣) أن رجلاً كان يصلى بجائط له في القف في زمن الثمر والنخل قد دلت فهي مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع إلى صلاته فإذا به لا يدري كم صلى فقال أصابتنى في مالى هذا فتنة فجاء عثمان وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الخير فباعه عثمان رضى الله عنه بخمسين ألفاً فسمى ذلك الحائط الخمسون. والحائط بالبستان سمي به لأنه يحوط والقف من أودية المدينة. قال الإمام الغزالي^(٤) هذا هو الدواء القاطع لمادة العلة فلا يغنى غيره.

(١) للإمام مالك.

(٢) له ترجمة وأبنيته في شذرات الذهب لابن حجر العسقلاني.

(٣) ورد ذكره في الإصابة.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف ولد سنة

٤٥٠هـ/١٠٥٨م ومات سنة ٥٠٥هـ/١١١١م.

انظر المزيد في: وفيات الأعيان ١/٤٦٣، طبقات البيهقي ٤/١٠١، شذرات الذهب ٤/١٠،

مفتاح السعادة ٢/١٩١-٢١٠.

وقدس الله سبحانه من لم يشغله شئ عن ذكره بقوله ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (١) ثم بين الله سبحانه ما أعد لهم على ذلك بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢).

وفي الأثر كل ما اشغلك عن الله فهو عليك مشنوم فكانت هذه الخيل لكونها سبباً للأشتغال عن ذكر الله كالناقة التي لعنتها راعيها فأمرها النبي ﷺ بالتزول عنها وتخليتها وقال لا يصحبنا ملعون.

فإذا كانت هذه صفة بعض عباد الله الصالحين فما بالك بالأنبياء المكرمين ويحمل حال نبي الله سليمان عليه السلام في هذه القصة على السهر الجائز على الأنبياء ويكون عقرب الخيل أما إهانة أو كفارة تشريعاً لأمتة وتزيتها عن التعرف لأسباب السهر واطهار الحقارة الدنيا في نظره ولبيان شرف الذكر والعبادة وموقعهما من قلوب الأنبياء صلاة الله عليهم وسلامه حتى أن ألف فرس جواد لا تساوى عند أحدهم غفل ساعة عن ذكر الله تعالى. ويؤيده ما في الصحيح من فاته صلاة العصر فكأنه وترأهله وماله وأطلق الأهل والمال فيشمل القليل منهم والكثير فرما كان ولد واحد للإنسان أحب إليه من ألف فرس، والأهل يشمل الأولاد والأخوة والزوجات والآباء والأمهات وغيرهم والمال ما قل وما جل فمن فاته صلاة واحدة كان كمن فقد ذلك كله ولو كانت له الدنيا وهو كذلك فإنه ورد أن موضع سموظ في الجنة خير من الدنيا

(١) سورة النور الآية ٣٧.

(٢) سورة النور الآية ٣٨.

بأسرها وثواب الصلاة في الجنة لا يقدر قدره إلا الله تعالى. وإنما جاء التشبيه على التقريب بمقدار ما يعلمونه.

فائدة هل يجوز للمسلم أن يعقر فرسه في الحرب كما يفعله بعض الناس يزعم أنه شجاعة يعنى ليكون سبباً لثباته لأنه حينئذ يأس من الفرار منع العلماء من ذلك لأنه اضعاء مال ومنايذة لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (١) فالفرس من القوة المأمور بأعدادها.

واستشكل بأنه ورد عن جعفر بن أبي طالب (٢) رضى الله تعالى عنه أنه اقتحم يوم مؤتة بفرس له شقراء لجة القوم حين التحم القتال ثم نزل عنها وعقرها وقاتل حتى قتل، فكان أول رجل من المسلمين عقر فرسه في الإسلام.

وأجاب عنه الماوردي (٣) من الأئمة الشافعية أنه إنما عقرها لما أحيط به أى وظن أخذها منه فتكون كعقر خيلهم انتهى.

ويعلم منه جواز عقر خيل الكفار كما صرح به هو أيضاً لكن قيده بما

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠.

(٢) هو جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم صحابي هاشمي من شجعانهم يقال له جعفر الطيلو، مات سنة ٦٢٩هـ/٦٢٩م.

انظر الزيدى: الإصابات ٢٣٧/١، صفة الصفوة ٢٠٥/١، مقاتل الطالبين ٣، حلية الأولياء ١١٤/١، طبقات ابن سعد ٢٢/٤.

(٣) هو على بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي أفضى قصة عصره من العلماء الباحثين صاحب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين ولد سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م ومات سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. انظر الزيدى في: طبقات السبكي ٣/٣٠٣، الأنساب ١٨٨ الوفيات ٣٢٦/١، شذرات الذهب ٢٨٥/٣، آداب الغة ٢٣٣/٢.

إذا قاتلونا عليها قال وقد عقر حنظلة بن الراهب^(١) فرس أبي سفيان بن حرب^(٢)
يوم أحد واستعلى عليه ليقتله فرآه ابن شعوب فبدر إلى حنظلة وهو يقول :

لأحملن صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس

ثم طعن حنظلة فقتله واستنقذ أبا سفيان فنخلص وهو يقول:

وما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم كراً وأدعو بغالب وادفعهم عنى بركن صليب
ولو شئت نجنتي حصان طمرّة ولم أحبل النعماء لأبن شعوب

فبلغ ذلك ابن شعوب فقال مجيباً له حين لم يشكره:

ولولا دفاعي يابن هند ومسهدي لألّفت يوم القف غير مجيب
ولولا مكري المهر بالقف قرقرت ضياع على أوصاله وكليب

وفي هذين البيتين اختلاف القافية بالأعراب وهو في أشعار العرب كثير.

ومنع بعض الفقهاء من عقر خيل الكفار وإن قاتلونا عليها أما الخيل التي لم يكونوا
عليها حالة القتال كالسائمة أو المأخوذة منهم إذا لم يمكن إخراجها من أرضهم فلا
يجوز عقرها اتفاقاً ولا ذبحها عند الشافعية، وقالت أئمة الحنفية يجوز ذبحها ويحرقها
لئلا تبقى لهم بل يكادون بذلك ويأتى حكم الفرس وما يسهم له من المغنم.

تبييه: وقع في عبارة القاضي في هذه الآية بحث قوله تعالى : ﴿ نَعَمَ الْعَبْدُ ﴾^(٣)

(١) ورد ذكره في الطبقات لابن سعد.

(٢) وهو والد معاوية وهو غني عن التعريف.

(٣) سورة ص الآية ٣٠ و ٤٤.

أى نعم العبد سليمان إذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله [أنه أو أب] رجاء إلى الله بالتوبة أو إلى التسيح مرجع له [إذ عرض عليه] ظرف لأواب أو النعم والضمير لسليمان عند الجمهور انتهى فقوله إذا ما بعده الخ إن أراد به أنه أواب فقط فغير مسلم إنه من حال سليمان وحده بل هو من حال داره أظهر على التفسيرين كما لا يخفى فلا دلالة فيه حينئذ على تعيين إرادة سليمان دون داود عليهما السلام وإن أراد الجموع فجعله إذ ظرف لنعم ينافي التعليل ويجاب بأنه أراد الجموع بقريئة قوله والضمير لسليمان عند الجمهور. ومراده الضمير المجرور. فأن عرض الصافنات الجياد كان على سليمان اتفاقاً والظرفية الضمير المجرور فأن عرض الصافنات الجياد كان على سليمان اتفاقاً والظرفية لا تنافي التعليل إذ الظروف تستعمل عللاً كثيراً قال في المغنى فى معنى إذ أنها للتعليل كقوله تعالى ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ (١) وهل هذه حرف بمرآة لام العلة أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام قولان وغرضنا أن الله سبحانه سماها فى هذه الآية على لسان نبيه سليمان خيراً حيث قال «أنى أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب» فأن المراد بالخير هنا الخيل أما لأن المال يسمى خيراً وهى منه كما قال الله تعالى ﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا﴾ (٢) أى مالاً وأما لتعلق الخير بها كما فى الحديث الآتى «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة» (٣) ويجوز أن يكون التقدير أحببت

(١) سورة الزخرف الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٠.

(٣) متفق عليه.

حب الخير حتى اشغلتني عن ذكر ربي فيكون مضمون الجملة التأسف والتحسر والندم على ما فرط منه والندم توبة فتكون عن متعلقة بالفعل المقدر وحتى توارت غاية لاشتغاله على أن الضمير في تورات للشمس كما عليه الأكثر لدلالة العشى عليها التزاماً فقيه استعارة مكنية. ويجوز أن تكون غاية للعرض فيكون ذكر ما يدل على التوبة مقدماً للاهتمام. ويجوز أن يكون الضمير للخيل فيكون المراد بالحجاب ما يحجبها عنه لبعدها في الشأو على الاحتمالين في الغاية.

وقيل أنه مسح سوقها وأعناقها كرامة لها فعليه يكون الغاء في قوله فطفق متصلة بقوله عرض عليه ويكون الضمير في ردوها على الشمس والخطاب للملائكة الموكلين بها فردت له الشمس حتى صلى العصر أو ادى ما فاتته في ذلك الوقت وهو مروى عن جماعة من الصحابة ففيه معجزة لسليمان عليه السلام ودليل على أن اشتغاله بها كان عبادة وان غفلته ان كانت سهو. وحب الخيل فضيلة كما ورد أنها كانت أحب الأموال إلى رسول الله ﷺ كما روى عن أنس رضى الله عنه « لم يكن شئ أحب إلى رسول الله بعد النساء من الخيل » رواه النسائي. وعن معقل بن يسار^(١) « ما كان شئ أحب إلى رسول الله ﷺ من الخيل » ثم قال اللهم غفرا الا النساء. رواه أبو عبيدة وابن سعد من حديث

(١) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان وسكن البصرة وتوفي بها سنة ٦٥هـ/٦٨٥م.

انظر المزيد في: الإصابات ٤٤ ٨١، أسد الغابة ٤/٣٩٨.

قتادة^(١) عن معقل^(٢) رضى الله عنه.

وقد وردت الشمس على يوشع بن نون عليه السلام أيضاً بعد موسى عليه السلام لما حاصر الجبارين بأريحا وكان يوم الجمعة فخشى أن تغرب الشمس ويدخل السبت فيحرم عليهم القتال وكانوا أشرفوا على فتحها فدعا الله سبحانه أن يجبس عليه الشمس فحبسها ساعة حتى فتح الله عليهم.

وثبت أنها ردت للنبي ﷺ كذلك حين أخبر قومه صبيحة الأسراء بالرفعة التي رآها ليلته وأنها تقدم في اليوم الفلاني فلما كان ذلك اليوم خرجت قريش ينتظرون الرفعة حتى ولى النهار ولم تقدم فدعا النبي ﷺ فحبست له الشمس ساعة حتى قدمت الرفعة. وهاتان الواقعتان تسمية رد الشمس فيها مجاز وإنما هو وقوفها وتأخرها عن معتادها.

وفيه رد لما تدعيه الفلاسفة في عدم تغير شيء من الأوضاع الفلكية كما في انشقاق القمر الناطق به القرآن.

وورد أيضاً أن الشمس ردت على على رضى الله عنه لما نام رسول الله ﷺ في حجره ولم يكن على صلى العصر ولم يوقظ النبي ﷺ لكونه يوحى إليه حتى غابت الشمس فلما استيقظ النبي ﷺ وأخبره.

(١) هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسى البصرى مفسر حافظ ضريب أكمه. ولد سنة ٦١هـ/٦٨٠م ومات ١١٨/٧٣٦م.

انظر المزيد في: تذكرة الحفاظ ١/١١٥، نكت الهميان ٢٣٠، وفيات الأعيان ١/٤٢٧، المعارف ٢٠٣، إرشاد الأريب ٦/٢٠٢.

(٢) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني صحابي أسلم قبل الحديبية، مات سنة ٦٥هـ/٦٨٥م.

قال اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فردت الشمس بعد غروبها حتى صلى العصر. وهي تشاكل قصة سليمان وهو رد حقيقى.

واختلف الفقهاء في مثل ذلك هل تكون العصر أداء أولاً والراجح الأول. وحديث رد الشمس على على رضى الله عنه صححه الطحاوى^(١) وغيره وذكر ابن حجر الهيثمى في صواعقه قال حدثني جماعة من مشايخنا بالعراق أنهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أزدشير الواعظ. وقد ذكر هذه القصة في وعظه وأطال في استيعاب طرقها حتى غاب قرضها وتوارت عن النظر فاستشرف من على كرسيه وقال:

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى مدحى لآل المصطفى ولنجله
وأثنى عنانك ان اردت ثناءهم انسيبت اذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

قال فانجلت تلك الغمامة وظهرت الشمس بعد أن ظن غيابها وبقيت حتى اتم القصة. وذكر في هذه الآية وصفين من صفات الخيل أحدهما الصافن وهو من الصفون أو الصفن وهو أن يقف الفرس على ثلاث ويرفع الرابعة بحيث يكون طرف سنبكها على الأرض ايتها كانت وهى صفة مدح لاتكاد توجد إلا في العراب كذا قيل. الجياد جمع جواد أو جود كتوب أى سريع فى جريه وكأنه من

(١) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصرى . سمع يونس بن عبد الأعلى وهارون بن سعيد الأبلق ومنه الطبرانى. ولد سنة ٢٣٧هـ وله معاني الآثار.
انظر المزيد فى: البداية والنهاية ١١/١٧٤، تاج التراجم ٨، تذكرة الحفاظ ٣/٨٠٨، لسان الميزان ١/٢٧٤، مرآة الجنان ٢/٢٨١.

الجود بحيث يعطى ما فى قوته من الجرى فوصفها بحسن الوقوف والجرى.

وأما بقية أوصافها مما فيه مقنع فالطرف وهو مثل الجواد قال فى الأساس يقال هو من أطراف العرب أى من اشرافهم وأهل بيوتاتها ورجل طريف كريم الآباء إلى الجد الأكبر ومنه الطرف للفرس الكريم ومثله العنجوج الجمع عناجيج من عناج الدلو للحبل الذى يجعل تحتها ليكون عوناً لها فكأنه فعلول أى كثير العون ومثله اليعوب. قال :

لا تسقه ماءً ولا حليباً إن لم تجده ساجحاً يعوباً

ومثله الطمى أى السريع كأنه يهوى من طمار أى مكان مرتفع قال الشاعر يصف صقراً :

لسق الريش تدلى غدوة من أعالى صعبة المرقى طمار

ومن ثم قيل الفرس الطمر المشرف أى العالى ومنها العجاجة وهى الشديدة ومن صفتها المقربة على صنعة المفعول، وهى الخيل المعدة للحرب لأنها تقرب وتكرم والمراخى وأحدها رخاء أى سريع أيضاً. ومثله السابح والمسبح والبحر والغمر والمخضر والحضر واحضار العدو.

ومن صفات الخيل المسنفات أى المتدمات فى السير واحدها مسناف من قولهم بعير مسناف يقدم رحله والله أعلم.